بسم الله الرحمن الرحيم

انفذ على رسلك

بقلم : عطية الله

الحلقة السابعة

فوائد تتعلق بباب الرفق والعنف زيادة على ما سبق :

قوله : "ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير" قال أهل العلم : يعني أن نصيب الرجل من الخير على قدر نصيبه من الرفق وحرمانه منه على قدر حرمانه منه، قاله في تحفة الأحوذي. وهو صريحُ الحديث المتقدم : "من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير". رواه الترمذي، وعند أحمد نحوه.

قوله : "إن الله رفيق"، هل هو من أسماء الله تعالى الحسنى أو هو صفةٌ، محتمل، والوجهان للعلماء، أعنى مَن ذكره في الأسماء الحسنى ومَن لم يذكرْه فيها، والأظهر والله أعلم أنه جارٍ مجرى الصفاتِ، ومحل هذا البحث كتب العقائد، وهو شبيه بقوله : "إن الله جميلٌ يحب الجمال"، وقوله : "إن الله طيّبٌ لا يقبل إلا طيّباً"رواهما مسلم في صحيحه، ويراجع شرح النووي في الموضعين.

وعند الطبراني وعبد الرزاق في مصنفه : "إن الله محسنٌ يحب الإحسان".

وعند الترمذي وضعّفه : "إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا -أراه قال- أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود"اهـ قال الترمذي عقب إيراده الحديث في سننه : "هذا حديث غريب وخالد بن إلياس [أحد رواته] يضعَّف ويقال ابن إياس"اهـ

وإنما أردتُ أن أطيلَ في الكلام على العنف والرفق والشدة والليـن، لشدة تعلّق فهم هذه الأمور بالجهادِ، وشدة حاجة المجاهدين إلى فقهها والتشبّع بالحكمة فيها، وأرجو أنني أساهِمُ في ترشيد شبابنا وأجيالنا وتسديدهم بإذن الله، أسأل الله تعالى أن يتقبل ويبارك.

ومن النقاط العملية لكي يدرّب الإنسان نفسه على استعمال الرفق والتريّض به، أن نتذكر كلمة أبي عون الأنصاري التي مرتْ : ما تكلم الناسُ بكلمةٍ صعبة إلا وإلى جانبها كلمة أليـنُ منها تجري مجراها.اهـ أي فليتأنّ الإنسانُ قبل النطق وقبل التصرّف، وليفكر في الوسيلة النطقية أو الفعلية التي يؤدي بها المعنى الذي يريد، وهذا يلفتنا إلى أهمية أن نتعلم الكلمات الطيبة التي تؤدى بها المعاني المختلفة ونكثر من الأمثلة ونقتدي بأهل الكمال في الباب.

الموازنة بين الشدة واللين من أصول تربية الخلق :

ولاشك أن الموازنة بين الشدة واللين والعنف والرفق والترغيب والترهيب أصلٌ من أهم أصول تربية المكلَّفين، سواء على مستوى النفس أو على مستوى الاجتماع، ومن رام التربية بمجرد الرفق واللين مطلقاً ودائما وأبداً وأنكر استعمال بعضِ الشدة في محلها، وكذا مَن رام الإصلاح بالرفق واللين وحده مطلقاً ودائما وأبداً وأنكر عن استعمال الشدة والعنف في محلهما، فإنه عَرَف شيئاً وغابتْ عنه أشياءُ، وهو حرِيٌّ بوصف الجهلِ والنقص.!

وأما الزنادقة الواصفون للشريعة بالعنف استهزاءً واحتقاراً وازدراءً، لأنها تأمُرُ بقطع يد السارق بشروطه، وتقتل القاتل قصاصاً، وترجم الزاني المحصَن وتجلد الزاني غير المحصَنِ، ولنحو ذلك من الحدود، فإنهم سفلةٌ متمردون على الله تعالى، ولسنا نطيل هنا بالكلام عليهم، فقد تجاوزهم التيار، والحمدُ لله، {وقل جاء الحقُّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً}.. وقد قالت الحكماء :

فقسا ليزدجروا ومَن يكُ حازماً * فليقْسُ أحياناً على مَن يرحَمُ

في أضواء البيان عند قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} الآية : أخبر تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة أنهم إن ارتد بعضُهم فإن الله يأتي عوضاً عن ذلك المرتد بقوم من صفاتهم الذل للمؤمنين والتواضع لهم ولين الجانب، والقسوة والشدة على الكافرين، وهذا من كمال صفات المؤمنين، وبهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم، فأمره بلين الجانب للمؤمنين، بقوله: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [15/88]، وقوله: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [26/215]، وأمره بالقسوة على غيرهم بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [9/73]، وأثنى تعالى على نبيه باللين للمؤمنين في قوله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} الآية [3/159]، وصرح بأن ذلك المذكور من اللين للمؤمنين، والشدة على الكافرين، من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم، بقوله: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [48/29]... ويفهم من هذه الآيات أن المؤمن يجب عليه أن لا يلين إلا في الوقت المناسب للين، وألا يشتد إلا في الوقت المناسب للشدة، لأن اللين في محل الشدة ضعفٌ وخوَرٌ، والشدة في محل اللين حمق وخرق، وقد قال أبو الطيب المتنبي :

إذا قيل حلمٌ قل فللحلمِ موضعٌ * وحلمُ الفتى في غيرِ موضعه جهلُ

انتهى.

وفي التحرير والتنوير : ومعنى اتّباع محمدٍ ملّةَ إبراهيم الواقعِ في كثيرِ من آيات القرآن أن دينَ الإسلام بُني على أصولِ ملّة إبراهيم، وهي أصول الفطرة والتوسّط بين الشدّة واللّين، كما قال تعالى : {وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم}.اهـ

وسورةُ النور في القرآن مثالٌ لمن أراد أن يتأمّل هذا الأصل فـي التربية : "والمحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربيـة الـتي تشـتد فـي وسـائلها إلـى درجـة الحـدود، وتـرق إلـى درجـة اللمسات الوجدانية الرفيقة، التي تصلُ القلـبَ بنـور اللـه وبآيـاته المبثوثة في تضـاعيف الكـون وثنايـا الحيـاة، والهـدفُ واحـدٌ فـي الشدة واللين، هـو تربيـة الضـمائر، واستجاشـة المشـاعر، ورفـع المقاييس الأخلاقية للحياة، حتى تشف وترف، وتتصل بنـور اللـه، وتتداخل الآداب النفسية الفرديـة، وآداب الـبيت والأسـرة، وآداب الجماعة والقيادة، بوصفها نابعةً كلها من معين واحد هـو العقيـدة في الله، متصلة كلها بنور واحد هو نور اللـه، وهـي فـي صـميمها نور وشفافية، وإشراق وطهارة، تربية عناصرها من مصـدر النـور الأول فـي السـماوات والأرض، نـور اللـه الـذي أشـرقت بـه الظلمات، في السماوات والأرض، والقلوب والضمائر، والنفـوس والأرواح".اهـ [في ظلال القرآن].

والحمد لله رب العالمين.

<u>العنف والجهاد : هل الجهاد عنفٌ؟ وهـل يصـحّ تسـميته عنفاً؟</u>

الجهادُ شريعةٌ من شرائع الله عز وجل جاء بها دين الإسـلام، كمـا كانت مشروعة في شرائع بعض الأنبياء السابقين كموسـى ومَـن بعده من أنبيـاء بنـي إسـرائيل، كيوشـع بـن نـون وداود وسـليمان وغيرهم.

قال بعض العلماء إن بدء تشريع الجهاد كان فـي شـريعة موسـى عليه السلام بعد هلاك فرعون، واستنبطوه مـن قـوله تعـالى فـي سورة القصص: {وَلَقَدْ آَتَيْنَـا مُوسَـى الْكِتَـابَ مِـنْ بَعْـدِ مَـا أَهْلَكْنَـا الْقُرُونَ الْأُولَـى بَصَـائِرَ لِلنَّـاسِ وَهُـدًى وَرَحْمَـةً لَعَلَّهُـمْ يَتَـذَكَّرُونَ}. وقوله في سورة المؤمنون : {وَلَقَدْ آَتَيْنَـا مُوسَـى الْكِتَـابَ لَعَلَّهُـمْ يَهْتَدُونَ}، وذلك بعد ذكر إهلاك الأمم المكذبة في الموضعين.

قال ابن كثيرٍ : يعني: أنه بعد إنزال التوراة لم يعـذب أمـة بعامـة، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين.اهـ

قال الشيخ السعدي : مر عليَّ منذ زمان طويل كلامٌ لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه، أما هذه الآيات، فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا إهلاكُ فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص فهي صريحة جدا، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدى ورحمة، ولعل من هذا، ما ذكر الله في سورة يونس من قولة : {ثم بعثنا من بعده} أي: من بعد نوح {رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون} الآيات والله أعلم.اهـ

وقال عند آيات القصص : {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} وهو التوراة {مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى} الذين كان خاتمتهم في الإهلاك العام؛ فرعون وجنوده. وهذا دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف.اهـ

وفي نظم الدرر للبقاعي : "ولما كان حكم التوراة لا يستغرق الزمانَ الآتي أدخل الجار فقال : {من بعد ما} إشارة إلى أن إيتاءها إنما هو في مدة من الزمان ثم ينسخها سبحانه بما يشاء من أمره {أهلكنا} أي بعظمتنا {القرون الأولى} أي من قوم نوح إلى قوم فرعون، ووقَّتَها بالهلاك إشارةً إلى أنه لا يعم أمةً من الأمم بالهلاك بعد إنزالها تشريفاً لها ولمن أنزلت عليه وأوصلت إليه"اهـ

وهذا الانتزاع دقيقٌ لطيف، بيد أن الذي شجع عليه وساعدَ أمران : الأول : أنه معروفٌ وثابتٌ تاريخياً بشهادة القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة أن الجهاد كان مشروعاً في شرائع بعض

أنبياء بني إسرائيل من بعدِ موسى، ففي القرآن مثلا قصة {الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}الآيات من سورة البقرة، وفي السنة ذكرُ قتالِ يوشع بن نون وداود وسليمان. والثاني معنويٌّ وهو : أن الجهادَ لأعداء الله الصادّين عن دعوته المكذبين لرسله هو كالبدَلِ لعذابِ الاستئصال الذي كان يأخذ الله عز وجل به الأمم المكذبة قبل ذلك وهو الذي إليه الإشارة بقوله "من بعدِ ما أهلكنا القرون الأولى"، كما فهمه العلماءُ، والله أعلم. ثم المعروف المشهور تاريخياً أيضاً أنه لم تعذَّبْ أمةٌ بعدَ موسى عذابَ استئصالٍ وبسَنَةٍ عامّةٍ.! كما قال ابن كثير في تفسيره في سورة ياسين : وقد ذكر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة ، لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم.اهـ وإن نَظَرَ فيه القاسميّ في محاسن التأويل فقال : "وما ذكره ابن كثير من وقوف عذاب الاستئصال بعد نزول التوراة يحتاج إلى قاطع، وإلا فقد خربت كثير من البلاد الأثيمة بعدها وتدمرت بتسليط الله من شاء عليها.اهـ ففي كلامه نظرٌ، والذي ذكره السلف وابن كثير أوجَهُ ولسنا نحتاجُ إلى قاطع بل المقام مقامُ غلبة الظنّ، وخراب كثير من البلاد الأثيمة ودمارها بتسليط الله من شاء من خلقه على مَن شاء ليس مما نحن فيه في الغالب.

وبعض خصوم المجاهدين، وأعداءُ الجهاد من منافقي وزنادقة هذه الأمة وأولياؤهم الكفار الأصليون يسمّون الجهاد عنفاً، وينبزون المجاهدين بالعنف والتشدد كما هو معروف مشهور، وهذا من ظلمهم وجهلهم وعنادهم للحق وطغيانهم، فإن الجهاد شريعة شرعها الله وعظّم قدرها، فالله يحبها ويأمر بها ويفرح بها وبأهلها ويرضى عنهم ويرفع درجتهم في أعلى الدرجات، والله هو الرب الرحيم الروؤف البرّ الكريم الحنّان المنان أرحم الراحمين وخير الراحمين، وهو أيضا العزيز الجبار المتكبر القوي المتين والقهار القاهر فوق عباده المنتقم من الظالمين، له

الأسماء الحسنى والصفات العلا سبحانه وبحمده لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه عز وجل.

وبالتالى فالجهاد، حيث كان جهاداً حقّاً، فهو من جملة الرحمة، وهو خير للخلق، وصلاح وإصلاح في الأرض، وليسَ فساداً.

هذا لا شك فيه ولا ريب، ومن يرتاب في هذا فإن كان من الكفار فلا غرابة فيه، فإن الكافر عن الفهم لدين الله بمعزِلٍ، وإن كان ممن ينتسب إلى الإسلام ففيه نفاق وشكّ، فعليه أن يبادر بالتوبة وتصحيح إيمانه، ومداواة نفسه المريضة بالعلم النافع والهدى والنور الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم، وليصدق مع الله، وليخلص في طلب الهداية والبحث عن الحق، فإن فعل فإن الله يهديه ويوفقه ويشرح صدره.

فالجهادُ فريضةٌ من فرائض الله تعالى، وفرائض الله تعالى وشرائعه كلها حقٌّ وعدلٌ ورحمةٌ وصلاحٌ وإحسانٌ، قال تعالى : {وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً}.

ولا شك أن الجهادَ عنفٌ وشدة وغلظةٌ في محلّه للمستحقين من الكفرة وأمثالهم ممن يُجاهَدون، فهو إذن عنفٌ محمودٌ مأمورٌ به من قبل ربنا وخالقنا عز وجل الذي له الحكمة التامة والرحمة التامّة والكمال والجمال والجلال سبحانه.

وهو إذنْ مما ذكرنا من وضع الرحمة والرفق واللين في محله، والشدة والغلظة والعنف في محله، وهو مقتضى العدل ومقتضى الحكمة. والحمد لله رب العالمين. وإن شئتَ فقل : هو عنفٌ شرعه الله وأحبّه ورضيه وأمر به، فالعنف والشدّة ليس مذموماً بإطلاق؛ في كل حين وفي كل موضع، كما كررنا، بل إنما يذمّ حين يكون في غير محلّه، وحيث يمكن تحصيل المقصود بالرفق واللين.

لكن قد أشرنا فيما مرّ أن لفظ العنفِ في عرف اللغة واستعمال الشرع خُصّ بما كان منه مذموماً وهو الموضوع في غير محلّه أو الزائد على قدر الحاجة والصلاح، فالوصفُ بـ "العنف" يتضمّنُ تلميحاً إلى ذم موصوفه، ولهذا لا يجوز تسمية الجهاد عنفاً إلا

على سبيل التبيين والتوضيح للمعاني وأصولها على نحو ما كتبنا في هذه الأسطر مثلا، وأما الذين ينعتون الجهاد الحقَّ المشروعَ بالعنف من أعداء الجهادِ وخصومِه ومن ضُلّال ومنحرفي هذه الأمة والمهزومين ممن يسمّون بالمفكرين والمثقفين أو العلماء فهؤلاء في أحسنِ أحوالهم قومٌ لا يعلمون، وفي بعضها هم قومٌ مسرِفون، وهم على خطرٍ عظيم.!!

وبالجملة فالذين يسمّون الجهاد عنفاً ما أبعدهم عن حقيقة الدين، لكنْ .. علينا أن نكون حذرين في الحكم على هؤلاء المسمّين للجهاد عنفاً من أهل ملتنا، فإن بعضهم قد يتظاهر بذلك أمام الناس من باب السياسة والديبلوماسية، وظروفه تضطره لبعض ذلك، أو بتعبير أدق هو يرى أن ظروفه تضطره إلى بعض ذلك، وبعضهم قد يكون معذوراً فعلاً نتيجةً للخوف الذي يعيشه والاضطهاد في ظل الأنظمة البوليسية التي تحكم بلادنا الإسلامية، ولا نريد أن نظلم أحداً، فنحن نعرف أعذار الناس في الجملة، وقد نعرف بعض المعذورين على التفصيل ونعرف حالهم.. إنما هنا نحن نتكلم عن الأفكار، وكل امرئ حسيب نفسه، وكل نفس بما كسبت رهينة، والإنسان على نفسه بصيرة، والذي يحاول خداع الناس قد يخدعهم، ولكنه لا يخدع الله.!

ونكمِلُ الصورةَ ، فالجهاد شرِع للحاجة الضرورية لحفظ الدين وصلاح الاجتماع البشري وهي سنة التدافع المعبر عنها في القرآن بقوله تعالى : {ولولا دِفاعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لفسدتِ الأرض}.

وقد يصح أن يقال إن الجهاد هو مشروع من باب الضرورة، بمعنى أنه لو أسلم الناس فلا حاجة إلى الجهاد، ولو لم يكن هناك من يصد عن الدعوة لما شرع الجهاد .. فنقول : لا بأس، فليكن، لكن لما كانت هذه الضرورة لازمةً دائمةً ولا ينفك عنها الاجتماع الإنساني، كانت فرضية الجهاد بهذه المنزلة في الشريعة : فرضيةً دائمةً مستمرة مرغّباً في القيام بها أيما ترغيب وممدوحة أيما مدح، فكأنها لم تكن عن ضرورة، وإنما هي تصرّف أصليّ، إذ لا يُتصوّر أن يُسلم الناسُ كلهم ويخضعوا للعلم والهدى والدين،

ولا أن تخلو الأرض من أهل الصد عن سبيل الله، ولله الحجة البالغة.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة/253].

توضيحه أن الجهاد حقيقته القتال والقتل، وقتل النفوس ليس مقصوداً بالقصد الأول (القصد الأصلي الأساسيّ) لبعثة الرسل وإنزال الكتب من الله تعالى، فإن الله بعث الرسل وأنزل الكتب لهداية الخلق لا لقتلهم، نعم هذا صحيح باعتبار القصد الأول، وإنما لما كان في علم اللطيف الخبير أن بعض النفوس لا ينفع معها هذا، ولا ترفع رأساً بالرسل ولا بالكتب، بل تقف ضداً لها وحرباً عليها، وأنها لا يمكن صلاحها بالكلمة الهادية وبالدلالةِ لعدم القابلية، وأن في إزالتها صلاحَ النوع البشري وصلاح الأرض، شرع الجهاد (القتال والقتل) وأمر به، وابتلى به خلقه مؤمنهم وكافرهم، وجعله من أعظم دلائل محبته، وفرقاناً بين أوليائه وأعدائه، ومن أعظم ما يجازي عليه الحزاءَ الحسن، لما فيه من المعاني الباهرة التي خلاصتها بذل أغلى ما يملك الإنسان وهو وجودُهُ ومهجتُهُ ودمُه وروحُه في سبيل ربه عز وجل، أي من أجل دينه، فقتل تلك النفوس (مستحقي القتل من الكفار) هو بمنزلة قطع العضو المريضِ التالف الذي لا يرجى بُرْؤه من جسم الإنسان، والذي لو تُرِك ولم يقطع لأفسد بقية الجسم وأتى الفسادُ عليه كله.

وكذلك وقوع القتل في المجاهدين المؤمنين هو -إن شئتَ بالنظر إلى الأصل- من نوعِ "فسادٍ شرِعَ لمنعِ وقوعِ فسادٍ أعظمَ منه"، فهو إذن من باب "ارتكاب أدنى المفسدتين" اللتين لا بد من وقوع إحداهما (متعارضتان)، وبعبارة أخرى "ارتكاب أخف الضررين"، فهذه هي قاعدة الجهاد في الإسلام.

وحينئذٍ فلا يسمّى القتل للنفوس (في الجهاد) فساداً، معاذَ الله! وإنما عبّرنا عنه بذلك باعتبار الأصل، وللشرح وتقريب المسألة للفهم، فإنه حينما أمر الله به كان صلاحاً وخيراً، لأن فعل

المفسدة حينئذٍ (أي لمنع وقوع المفسدة الكبرى) لا يكون فساداً بل يصير هو عين الصلاح والإصلاح، والله عـزّ وجـل يـأمُرُ بالعـدل والإحسان والخيرِ والصلاح والإصلاح ولا يأمر بالفحشـاء، ولا يحـب الفساد ولا يحب المفسدين، سبحانه وتعالى وتقدّس، والحمد للـه رب العالمين.

تساؤل جريء :

سأل بعضُ الناسِ : نلاحظ أن المجاهدين أو "التيار الجهادي" فـي الأمة وفي شباب الصحوة وفي الحركة الإسلامية فيهم ميـلٌ إلـى العنف أكثر من غيرهم من الطوائف الإسلامية والتيارات الأخرى، نلاحظ عندهم قسوة وشدة وتشدداً زائداً وأكثر مما عنـد غيرهـم! وقد يتمادى بهم هذا الخلق وهذا الوصف إلى أن يفضِّلوا ويختاروا الخيارات القاسية والعنيفة كثيرا، ويتصـرفوا تصـرفات لا إنسـانية أحياناً وبعيدة عن الرحمة! فما تقولون في هذا؟

والجواب : أما كون أهل الجهـاد و"التيـار الجهـادي" كمـا سـميتَهُ، أميلَ إلى العنف من غيرهـم مـن الطوائـف الإسـلامية والتيـارات الأخرى في الحركة الإسـلامية فهـذا –إن كـان- فينبغـي أن يكـون عاديّاً مفهوماً و"طبيعيّاً" كمـا يقـالُ، فـإنهم يمارسـون أشـياء مـن جنس العنف والغلظة وهي الحربُ والقتالُ والقتل والذبح وإطارةُ الرؤوس وإراقة الدماء ونثر الأشلاء والفجيرُ والتـدميرُ، ويُعـالجون الشدة والقسوةَ في مواجهة الأعداء، فلا عجبَ أن يراهـم غيرُهـم لاسيما ممّن لم يعرِف الخشونة من أهل الرقّـة والنعومـةِ وممـن نُشّئوا في الحِلية والترف وممن غلبهم الذلُّ وطغى عليهم الـوَهْنُ وهو حبُّ الدنيا وكراهية القتال، يراهم عنيفيـن ذوي غلظـةٍ، وهـم في الحقيقةِ وفي نفس الأمـر ربمـا كـانوا أرقّ قلوباً منـه وأرحـمَ وأشفق وأحـنَّ علـى الضـعيف...! والحاصـل أن هـذا الحكـم غيـرُ موضوعيّ على الأغلبِ، فإن سُلّم أن فيه شـيئاً مـن الصـحة فهـو من مضاعفات هذه الممارسة أحياناً، التي قد تقـع لبعـض النـاسِ وليسـت للجميـع وليسـتْ غالبـة، فـإن الجهـادَ كلمـا كـان علـى الشريعة حقاً وصدقاً وكان أهلُهُ منضبطين بالشرع ذوي دينٍ متين وتقوى وفقهٍ، جامعين بين العلم والجهاد، وتقودُهم قيادةٌ رشـيدةٌ،

فـإن أخلاقهـم وأمزجتهـم تكـون مـن أعـدل الأخلاق والأمزجـة وخيرِها، ولا مقارنة بينهم وبين غيرهم ألبتةَ.!

ولذلك فإن ما ذكره السائلُ من أنه "قد يتمادى بهـم هـذا الخلـق وهذا الوصف إلى أن يفضِّلوا ويختاروا الخيارات القاسية والعنيفـة كـثيرا، ويتصـرفوا تصـرفات لا إنسـانية أحيانـاً وبعيـدة عـن الرحمة!"اهـ فإنه يشير إلى حالاتٍ وقـع فيهـا الخلـلُ والانحـرافُ، فهذه لها أسبابٌ متعددة، ليس منها ممارسةُ الجهادِ، وهذا يحصُـل لأهـل الجهـاد ولغيرهـم، فـإن مـن طوائـف النـاس مـن الحركـة الإسلامية وعوامّ أهل القبلة مَن هو عنيفٌ جداً وقاسٍ وشـديدٌ بـل وعُتُلٌ جبّار، دون أن يكون من أهل الحرب والقتال ولا انتمى إلـى جهادٍ، وقد يقتصر عنفه على اللفظ في مواطن لا يقدر فيها علـى غيره، وعلى صورٍ من عنـف المعاملـة والأخلاق وتبلّـد الإحسـاس وقلة الرحمة أو انعدامها وغلبة الأنانية والشحّ، فلمَ تظلـم الجهـادَ وأهلَهُ يا فتى؟!

(يتبع إن شاء الله).